ورقة سياسية

الدبلوماسية الخادعة

دور السياسة الخارجية الأمريكية في حرب غزة

الكاتب: منير نصولي

المصدر: مركز الإتحاد للأبحاث والتطوير

تاريخ الإصدار: 22 كانون الثاني/ يناير 2024

ورقة سياسية

الدبلوماسية الخادعة

دور السياسة الخارجية الأمريكية في حرب غزة

الكاتب: منير نصولي

2024-1-22

الفهرس

- مقدمة
- التضليل - درس من التاريخ
- 7 أكتوبر - إدارتين في واشنطن
  - تضخيم الرسائل الايجابية وأمنيات في غد أفضل
  - آلية التضليل
- الدروس المستفادة
- المراجع

- مقدمة

عملت الادارة الامريكية منذ بداية الحرب الصهيونية على قطاع غزة، على إطلاق تصريحات عن حقوق الانسان وضرورة تجنيب المدنيين الفلسطينيين في القطاع الاعمال العسكرية، إضافة الى ضرورة التفريق بين المدنيين المسالمين ومقاتلي حماس، ومع طول أمد الحرب وزيادة شدة القصف الصهيوني، وبداية استهدافه المتعمّد للمستشفيات، أطلقت الادارة الامريكية المزيد من التصريحات تطالب بها تل أبيب بعدم استهداف المستشفيات ومراعاة أحكام القانون الدولي في هذا الشأن، إضافة الى تصريحاتها بعدم الموافقة على التهجير القسري للمدنيين الفلسطينيين، ومطالبة تل أبيب بتخصيص مناطق آمنة للمدنيين والامتناع عن استهدافها. فيما أطلق النسق السياسي من الصف الثاني في واشنطن عددا من التصريحات التي تدعو الى وقف الحرب وتنتقد دولة الكيان المؤقت لاستهدافها المدنيين الفلسطينيين، وارتكاب المجازر المروعة بحقهم، الى غير ذلك من التصريحات التي تدعو الى حل الدولتين وحق الفلسطينيين بالعيش بأمان وازدهار، وكانت تلك التصريحات توحي دائما بأن المدة الممنوحة لحكومة نتنياهو لإنهاء العمليات العسكرية في القطاع أوشكت على النفاذ.

أدت هذه الرسائل الايجابية، وتضخيمها من قبل وسائل الاعلام العالمية والاقليمية والمحلية، الى تضليل الكثير من المراقبين المتابعين للشأن السياسي الامريكي وتأثيره على السياسات الاقليمية في الشرق الاوسط، لا سيما على دولة العدو الصهيوني، وبسبب إدراكهم لمدى نفوذ واشنطن على تل أبيب وحاجة الكيان المؤقت الى الدعم العسكري والسياسي الدائم للولايات المتحدة، كانوا دوماً يمنون النفس بأن قدرة الولايات المتحدة على فرض برنامجها في السياسة الخارجية على تل أبيب، يبشر بقرب انتهاء العمليات العسكرية الصهيونية في قطاع غزة، إلا أنه بعد دخول الحرب شهرها الرابع، بدأ العديد من المراقبين يلاحظون أن التصريحات ذات الطابع الانساني لأركان الادارة الامريكية والانتقادات العلنية للسياسيين الامريكيين لا تجد لها صدىً على أرض الواقع في غزة، وأنه لا يبدو أن الحرب ستتوقف ضد حماس وأهالي القطاع.

انشغل المراقبون بالدبلوماسية العامة للسياسيين الامريكيين، وانخدعوا بتضخيم وسائل الاعلام برسائلهم الايجابية، ولم يتنبهوا الى أن مجريات الارض ومؤشرات حركة القطاعات العسكرية للجيش الصهيوني هي التي تمثل الواقع الحقيقي للسياسة الامريكية والصهيونية تجاه قطاع غزة.

- التضليل - درس من التاريخ

في 17 حزيران 1941، تلقى ستالين تقريراً موقعا من بافيل م. فيتن، رئيس الاستخبارات الخارجية السوفييتية NKGB، يؤكد أن "جميع الاستعدادات من قبل ألمانيا للهجوم على الاتحاد السوفياتي قد اكتملت، ويمكن توقع الضربة في أي وقت". كان المصدر ضابط مخابرات في وزارة الطيران الألمانية. في هوامش التقرير، كتب ستالين الى رئيس فيتن، مفوض الشعب لأمن الدولة فيسفولد ن. ميركولوف: "الرفيق ميركولوف، يمكنك إرسال المصدر من مقر الطيران الألماني الى والدته اللعينة، هذا ليس مصدراً للمعلومات".

قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية، وقعت ألمانيا والاتحاد السوفياتي اتفاقية عدم اعتداء، عرفت باتفاقية مولوتوف - ريبنتروب. نصت الاتفاقية في بنودها السرية على تقاسم أوروبا الشرقية بين البلدين. ورغم أن ألمانيا كانت تهدف من هذه الاتفاقية لعدم القتال على جبهتين في آن واحد، إلا أن برلين كانت لها أهداف جيواستراتيجية أخرى تتمثل

في القضاء على العدو الأيديولوجي الاساسي، واحتلال مساحات جغرافية واسعة من الأراضي الروسية غنية بالموارد الأولية الطبيعية الزراعية والصناعية، وموارد الطاقة وعلى رأسها النفط.

بعد انتهاء العمليات العسكرية البرية على الجبهة الغربية، وتحول العمليات العسكرية الأساسية الى البحر والجو، بدأت ألمانيا في نقل فرقها العسكرية بكثافة الى الجبهة الشرقة تتضمن فرق المدرعات وسلاح الجو، وعملت على بناء مطارات عسكرية وتحصينات دفاعية، ومواقع توثب هجومية، إضافة الى تشكيل شبكات حرب عصابات داخل المجتمعات التي تقع تحت سيطرت الاحتلال السوفياتي في شرق أوروبا.

كانت العديد من التقارير السرية الواردة من عملاء ألمان رفيعي المستوى في شرق أوروبا وبرلين، وطوكيو، الى الاستخبارات العسكرية والخارجية السوفياتية، تؤكد على استعدادات حثيثة للقوات الألمانية لغزو الاتحاد السوفياتي، إلا أن ستالين كان يرفض على الدوام تصديقها، بل وكان يعمد الى عزل وإعدام مسؤولي الاستخبارت الذين يبلغونه بتقارير عملائهم عن الاستعدادات الألمانية. هنا يُطرح سؤال عن السبب خلف عدم قدرة ستالين على تصديق جنرالاته ومسؤوليه، وكيفية تمكّن الألمان من خداع عقله وتعطيل عملية التحليل المنطقي للأحداث؟

استخدمت ألمانيا عدة أدوات لتضليل القيادة السوفياتية، أهمها:

1- إيمان ستالين بصدق نوايا هتلر في رسائله الخاصة إليه، والتي كان يقسم بها بشرفه الشخصي بعدم وجود نوايا لديه لغزو الاتحاد السوفياتي.
2- التبريرات الدبلوماسية الألمانية بأن القوات البرية والجوية المتجمعة في أوروبا الشرقية هو حمايتها من الهجمات الجوية البريطانية، في الواقع بلغت هذه القوات 3 ملايين جندي عشية الهجوم على الاتحاد السوفياتي.
3- التضليل الألماني، من خلال تسريب معلومات وهمية من استخبارات الغستابو تعرض أهداف سياسية وعسكرية ألمانية مضللة.
4- ريبة ستالين من الوقوع في فخ الاستخبارات البريطانية الراغبة بدخول الاتحاد السوفياتي وألمانيا في مواجهة عسكرية، تهدف الى تحسين لندن لموقفها العسكري.
5- سوء تقدير ستالين للموقف، والتوقع غير المبني على المعلومات، أدى الى تركيزه على فكرة أن هتلر لا يستطيع، ولن يهاجم الاتحاد السوفياتي إلا بعد غزو إنجلترا، رغم أن المعطيات المادية جميعها تقول إن 150 فرقة ألمانية رابضة في أوروبا الشرقية، على طول الحدود الغربية للاتحاد السوفياتي، ومتوثبة للهجوم.

- 7 أكتوبر - إدارتين في واشنطن

في بداية الحرب أرسل الجيش الامريكي مجموعتين من حاملات الطائرات، وعدد من القطع البحرية الاضافية الى شرق المتوسط، وأتبعها بإرسال ألفين من المستشارين العسكرين والخبراء في مجال حروب المدن الى غرف العمليات العسكرية في دولة الكيان المؤقت، للعمل على تنفيذ نصائح بايدن لتل أبيب بعدم ارتكاب نفس أخطاء الولايات الولايات المتحدة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول، فيما حثّ المستشارون العسكريون الامريكيون نظراءهم الصهاينة على استخدام مزيج من الضربات الجوية الدقيقة والعمليات الخاصة، بدلاً من شن هجوم بري واسع النطاق على غزة الذي من الممكن أن يعرض الرهائن والمدنيين للخطر، ويزيد من تأجيج التطورات في المنطقة،

وللمساعدة أرسلت وزارة الدفاع جنرالاً من مشاة البحرية لتقديم المشورة للجيش الصهيوني، بشأن التخطيط لهجوم تكتيكي.

في نفس الوقت، نشطت دبلوماسية وزارة الخارجية الامريكية في معظم دول المنطقة، لتعطي انطباعاً بأن الادارة الامريكية ستعمل على ضبط الرد الصهيوني على قطاع غزة بعد عملية طوفان الاقصى، وستعمل على منع ارتكاب كيان العدو للمجازر بحق الفلسطينيين أو تدمير البنية التحتية المدنية في قطاع غزة، وأن واشنطن لن تسمح لتل أبيب بتوسيع النطاق الجغرافي للحرب، كما طالبت الادارة الامريكية إيران بالعمل على إيجاد حلول دبلوماسية لحل النزاع، وضبط حلفائها في محور المقاومة ومنعهم من مهاجمة الكيان المؤقت.

من ناحية أخرى، عمل وزير الخارجية بلينكن، ومستشار الامن القومي جايك سوليفان على توجيه دفة قرارات الادارة نحو دعم وتغطية خطة حكومة نتنياهو بتدمير قطاع غزة، فيما تقلصت تصريحات وزير الدفاع الى الاهتمام بالتهديد بالرد على الهجمات التي تطال قواعد الجيش الامريكي في سوريا والعراق، بينما سلكت تصريحات بايدن مسلك بلينكن وسوليفان، فكتب مقالا في الواشنطن بوست في 18 تشرين الثاني / نوفمبر 2023، أكد فيه على رفضه وقف إطلاق النار في غزة، وأكد عمله للوصول الى مستقبل خال من حركة حماس "لا ينبغي أن يكون هدفنا مجرد وقف الحرب لهذا اليوم، بل يجب أن يكون إنهاء الحرب إلى الأبد، وكسر دائرة العنف المتواصل ، وبناء شيء أقوى في غزة وفي جميع أنحاء الشرق الأوسط"، بينما تولى جون كيربي منسق مجلس الأمن القومي الأمريكي للاتصالات الاستراتيجية في البيت الابيض في إحاطات إعلامية شرح موقف الادارة الامريكية تجاه الحرب الدائرة ضد غزة، مبرراً المجازر الصهيونية بحق المدنيين الفلسطينيين، وداعماً للقضاء على المقاومة الفلسطينية في القطاع، وعلى رأسها حركة حماس، ومؤكداً بشكل متكرر على رفض وقف اطلاق النار باعتباره انتصاراً لحماس.

- تضخيم الرسائل الايجابية وأمنيات في غد أفضل

عمل الساسة الامريكيون في تصريحاتهم على تشكيل خطاب من قسمين، قسم يدعي الحرص على حياة المدنيين، وإدخال المساعدات الانسانية الى القطاع، وضرورة إلتزام الكيان المؤقت بقوانين الحرب، ومناشدة إيران وباقي دول الاقليم بعدم توسع الحرب، وضرورة البحث عن مخرج سلمي للأزمة، والقسم الآخر ينادي بضرورة دعم إسرائيل في الدفاع عن نفسها، وسحق حماس، وتغيير طبيعة الحكم في غزة، وغيرها مما تبيته نوايا أركان الادارة الامريكية المتصهينين الحقيقية. وكانت دعوات الساسة الامريكيين من الصف الثاني التي تنتقد الغارات الصهيونية على الأحياء الآهلة بالسكان، وضرورة الحفاظ على حياة المدنيين والأبرياء تصدح بها الأخبار المصنفة عاجلة على شاشات التلفزة العربية.

وقعت المؤسسات الإعلامية العربية في فخ النقل عن الإعلام الامريكي والغربي، فضللت الرأي العام الشعبي وتحليلات خبراء السياسة والباحثين، وبالتالي النسق السياسي في بعض الدول العربية والاسلامية، بأن الحرب شارفت على الانتهاء بسبب الادانات العلنية غير المسبوقة للسياسيين الغربيين والامريكيين من النسق الثاني للهجمات

الصهيونية على المدنيين، وأعداد الشهداء الكبير بسبب العمليات العسكرية للجيش الصهيوني، بينما غفلت عن عدم وجود إدانة رسمية من قِبل حكومة الولايات المتحدة لمجازر الكيان المؤقت بحق أهالي غزة.

- آلية التضليل

بعد انتهاء الحرب الباردة، انتقل الجهاز الاعلامي المسؤول عما يسمى "برنامج مكافحة المعلومات المضللة التي ترعاها الدولة (CSD)[1]"، وأنشئ لهذا البرنامج جهاز مسؤول عن مواجهة الدعاية الخاصة بالجهات والدول المعادية، ونشر الدعاية المضادة، من المخابرات المركزية الى وزارة الخارجية الأمريكية. وبعد عدة عمليات إعادة هيكلة بنيوية، وتحديث تشريعي وقانوني، تمت إعادة إحياء هذا البرنامج وتطبيقه من خلال الأداة الرئيسية لـ(CSD) "مركز المشاركة العالمية – وزارة الخارجية الامريكية (GEC) " مع تمرير قانون مكافحة الدعاية الاجنبية والمعلومات المضللة في أيار/ مايو عام 2016، وأنشأت مكاتب خارجية له لا سيما في أوروبا، وفي السفارات الامريكية المنتشرة حول العالم، تعمل على مراقبة الدعاية المحلية في الدول المعادية لسياسات واشنطن، وتعمل بشكل وثيق مع وسائل الاعلام المحلية والدولية المختلفة. أعادت (GEC) هيكلة مكاتبها الى أربعة فرق:

1- فريق روسيا
2- فريق الصين
3- فريق إيران، وينسق جهود الحكومة الامريكية المشتركة بين الوكالات لمكافحة المعلومات المضللة والدعاية داخل إيران وخارجها، والتأكد من حصول الشركاء على أحدث التقييمات والتحليلات لدعم مصالح الولايات المتحدة.
4- فريق مكافحة الإرهاب، ويركز على توسيع وتكامل الشبكات الدولية والإقليمية والمحلية للشركاء الذين يمكنهم المساعدة في دحر الروايات المضادة للوقائع للمنظمات الارهابية وشركائها، ويحدد الفريق أفضل الممارسات للابتكار والنشر السريع لتحليل الجمهور، ورسم خرائط المظالم، وإنشاء المحتوى، ورصد وتقييم التأثيرات وأدوات تحليل البيانات الأخرى.

كما أن من مهمات (GEC) العمل على تضخيم الرسائل الايجابية للحكومة الامريكية سواء كانت أفعال أو تصريحات، وإغفال الاضاءة على ما يمكن أن تعتبره الجهات الأخرى رسائل سلبية، ويتم النشر من خلال وكالات الاعلام العالمية مواقع التواصل الاجتماعي، فيما تعمل الوكالات الاعلامية الاقليمية والمحلية سواء المؤيدة لسياسات الادارة الامريكية أم المتعاطفة مع المقاومة، على نقل الخبر وإعادة بث نفس الرسائل الايجابية التي رغبت وزارة الخارجية في نشرها كدعاية مضللة، وهنا يتمثل عمل آلية التضليل.

- مقارنة بين تجربتين

[1] لا يمكن حصر عمل برنامج (CSD)، في هذه الورقة، فهو برنامج ضخم، وأجهزته ومكاتبه مرتبطة بالمجتمع الأكاديمي، ومجتمع وادي السيليكون، وبنوك المعلومات، إضافة الى أجهزة الاستخبارات المختلفة.

في عودة الى تجربة الحرب العالمية الثانية، حيث تمكنت ألمانيا من خداع الاتحاد السوفياتي، من خلال عدة قنوات من التضليل، وهي:

1- قناة المصداقية الشخصية لهتلر.
2- قناة الدبلوماسية، من خلال اتفاقية عدم الاعتداء الموقعة بين الطرفين.
3- قناة الاستخبارات في تسريبها لأهداف استراتيجية مضللة.
4- إضافة الى:

التقديرات الشخصية غير المبنية على وقائع مادية:

- الريبة من الطرف الثالث – بريطانيا.
- سوء التقدير الشخصي، والتوقع المخالف للوقائع المادية الحاسمة.

النتيجة هي؛ الإخفاق في توقع التحذير الاستراتيجي بشن ألمانيا الحرب على الاتحاد السوفياتي.

في تجربة حرب طوفان الأقصى، مارست الولايات المتحدة التضليل من خلال القنوات التالية:

1. قناة المصداقية الشخصية لرئيس الولايات المتحدة، الذي دعا الكيان الصهيوني في زيارته الى تل أبيب، بعدم تكرار دولة الاحتلال لخطأ الولايات المتحدة بعد أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001.
2. قناة التضليل الاعلامي التي ركزت على تضخيم الرسائل الايجابية المخادعة لمسؤولي النسق الاول والثاني من المسؤولين الامريكيين والغربيين.
3. قناة الحركة الدبلوماسية في المنطقة لوزير الخارجية بلينكن، تحت عنوان احتواء الصراع وعدم توسع، والبحث عن حلول سلمية.

- العدو يستفيد

مكنت آلية التضليل الامريكية من تثبيط ردات الفعل الاقليمية سواء السياسية أو العسكرية، واكتساب الوقت لمصلحة الكيان المؤقت في استكمال الجيش الصهيوني استعداداته:

1. استدعاء الاحتياط داخل وخارج الاراضي الفلسطينية المحتلة.
2. التزود بالذخيرة اللازمة لشن الحرب على القطاع، عبر الجسر الجوي الامريكي والاوروبي.
3. رفع جاهزية الدفاعات الجوية، ومنظومة القبة الحديدية.
4. إعادة الانتشار العسكري، ونشر الوحدات القتالية لا سيما شمال الكيان المؤقت في مواجهة حزب الله.
5. شن هجوم بري على قطاع غزة.
6. استعداد الكيان المؤقت لاستمرار القتال لشهور طويلة.

7. استكمال الاستعدادات العسكرية لاحتمال شن هجوم عسكري صهيوني ضد لبنان في الشهور القليلة المقبلة.

وكذلك في الاستمرار في شن الحرب وارتكاب المجازر لشهور طويلة، في حين كان الجميع ينتظر توقف القتال بناءً على التصريحات الأمريكية وطروحات التفاوض المختلفة، التي تحولت إلى آلية لإدارة التوقعات، وتخفيف الضغط على كيان الاحتلال ليتمكن من الاستمرار في محاولاته للإنجاز لأطول مدة ممكنة.

مراجع

1. https://www.state.gov/bureaus-offices/under-secretary-for-public-diplomacy-and-public-affairs/global-engagement-center/#:~:text=Mission%3A%20To%20direct%2C%20lead%2C,United%20States%2C%20its%20allies%2C%20and

2. الدبلوماسية العامة والحرب القديمة الجديدة: مكافحة المعلومات المضللة التي ترعاها الدولة، اللجنة الاستشارية الامريكية للدبلوماسية العامة، مترجم مركز يوفيد للدراسات.

3. الاخفاق في التحذير الاستراتيجي، ديفيد إي مورفي، مطبعة جامعة يي، نيو هافن ولندن، 2005، ترجمة مركز غرب آسيا للدراسات، 2022.
4. أرشيف تصريحات أركان الادارة الامريكية منذ السابع من أكتوبر حتى 23 كانون الاول/ ديسمبر 2023، مركز يوفيد للدراسات.
5. https://www.washingtonpost.com/opinions/2023/11/18/joe-biden-gaza-hamas-putin/